

## خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٤/١٠/٤

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

\*\*\*\*\*

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ \* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ \* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين

أتناول في الخطب في هذه الأيام ذكر غزوة الأحزاب وقد ورد مزيد عن تفصيلها أن المشركين رغم عبور الخندق لم ينالوا أي نجاح بل واجهوا هزيمة نكراء فاتفقوا على شن هجوم جماعي في الصباح دون أن يتخلف أحد. قضوا الليل كله في الاستعداد، وقبل شروق الشمس، تجمعوا أمام الخندق في مواجهة رسول الله ﷺ. أحاط المشركون بالخندق من كل جانب، ووجهوا جيشاً نحو خيمة رسول الله ﷺ، وكان خالد بن الوليد من بينهم. استمرت محاولات عبور الخندق مع تبادل كثيف لإطلاق السهام. كان الكفار يترقبون أي غفلة من المسلمين حتى يجدوا فرصة لعبور الخندق، وتكررت هذه الهجمات والمحاولات على فترات. في هذه الأثناء، رمى وحشي بن حرب رمحه الصغير نحو طفيل بن النعمان -وعند البعض هو طفيل بن مالك بن النعمان الأنصاري- فقتله. كما أصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم، مما أدى إلى استشهاده بعد أيام قليلة بسبب هذا الجرح.

وهذا هو اليوم الذي كان أداء الصلاة في وقتها صعباً للمسلمين، بسبب الانشغال المستمر والهجمات المتكررة في ذلك اليوم. يبدو أن الرواة اللاحقين لم يتمكنوا من حفظ تفاصيل الأحداث بدقة. فظهرت روايات تفيد بأن المسلمين، بمن فيهم النبي ﷺ، لم يتمكنوا من أداء صلاتي الظهر والعصر حتى غربت الشمس، ويقال بأنهم أدوها بعد غروب الشمس. بل إن بعض المؤرخين بالغوا وادعوا أن الله تعالى أعاد الشمس بعد غروبها ليمكن المسلمون من أداء صلاتي الظهر والعصر الفائتتين. لكن الحقيقة ليست كذلك. لا شك أن ذلك اليوم كان شديد الصعوبة، وكان المسلمون، بمن فيهم النبي ﷺ، تحت ضغط هجمات مستمرة. ومع ذلك، لم يكن الأمر أنهم وخاصة النبي ﷺ لم يتمكن من أداء أي صلاة على الإطلاق. في الواقع، أدوا الصلوات ولكن في حالة من الخوف والقلق

المستمر. ويبدو أن شدة الهجمات زادت حتى وقت العصر، مما جعل أداء صلاة العصر صعباً، وربما أُديت في وقت ضيق.

كتب حضرة مرزا بشير أحمد رحمته الله عن هذا الأمر في "سيرة خاتم النبيين":

ليس صحيحاً أن جميع صلوات المسلمين لم تؤد في وقتها في ذلك اليوم. بل كما يتضح من الروايات الصحيحة، أن ما حدث هو أنه نظراً لعدم تشريع صلاة الخوف حتى ذلك الوقت، وبسبب الخطر المستمر والانشغال، فإن صلاة واحدة فقط -وهي العصر- فات وقتها، وأديت مع المغرب. وفي بعض الروايات، تأخرت صلاتا الظهر والعصر فقط عن وقتها.

وذكر ذلك حضرة المصلح الموعود رحمته الله أيضاً فقال: في أحد الأيام، كان الهجوم شديداً لدرجة أن بعض صلوات المسلمين لم تؤد في وقتها، مما أجزن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً حتى قال: اللهم عاقب الكفار، لقد أضعوا صلواتنا. هذا يلقي ضوءاً كبيراً على أخلاق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويظهر أن أعز شيء في الدنيا بالنسبة له كان عبادة الله تعالى. في وقت كان العدو محيطاً بالمدينة من كل جانب، ولم تكن حياة الرجال فقط بل كانت حياة النساء والأطفال أيضاً في خطر، وكان قلب كل شخص في المدينة يخفق خوفاً من اقتحام العدو من أي جهة، حتى في ذلك الوقت، كانت رغبة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أداء عبادة الله تعالى في وقتها وبشكل صحيح.

أي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمنى حتى في الخوف الشديد ألا تضيع العبادة، والمعلوم أن عبادة المسلمين لا تكون في يوم معين من الأسبوع مثل اليهود والنصارى والهندوس بل تكون عبادة المسلمين خمس مرات يومياً. وفي مثل هذا الخطر الشديد من الصعب للإنسان أن يؤدي حتى صلاة واحدة ناهيك عن خمس صلوات وأدائها بالجماعة بوجه حسن. ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي هذه الصلوات الخمس في وقتها حتى في أيام الخطر هذه. وفي أحد هذه الأيام حين لم يستطع ذكر ربه في وقته براحة وطمأنينة شعر بألم شديد.

أما حضرة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، الحكم العدل لهذا الزمن، فقد اعتبر جميع الروايات التي تذكر أداء هذه الصلوات في الليل ضعيفة، وأقر بصحة رواية واحدة فقط تذكر أداء صلاة العصر في وقت ضيق على خلاف العادة. وقال وهو يرد على اعتراض أحد القساوسة حول تأخير أربع صلوات في غزوة الخندق:

أما جمع الصلوات الأربع بمناسبة حفر الخندق، فنقول رداً على هذه الوسوسة الناجمة عن الحمق أن الله يقول بأن ليس في الدين من حرج؛ أي ليس في الدين قسوة وشدة تسبب هلاك المرء. لذا قد أمر بجمع الصلوات وقصرها عند الطوارئ والمشاكل والبلايا، ومع ذلك لا نجد ذكر جمع أربع صلوات بهذه المناسبة في أي كتاب موثوق به من كتب الحديث، (من الممكن أن نجد في الأحاديث

ذكر جمع الصلوات الأربعة ولكنه لا يوجد في أي حديث صحيح) بل قد ورد في فتح الباري (شرح صحيح البخاري) أن صلاة واحدة فقط -أي العصر- صُليّت متأخرة قليلا عن موعدها. قال: لو كنت جالساُ أمامنا الآن لسألتك: من أين أخذت هذه الرواية؟ يقول المسيح الموعود ﷺ مخاطبا المعارض: هل الرواية المتفق عليها تفيد بأن الصلوات الأربع فاتت؟ فالصلوات الأربع يجوز جمعها شرعا أي الظهر والعصر معا، والمغرب والعشاء معا. أجل، فقد ورد في رواية ضعيفة أنه صُليّت الظهر والعصر والمغرب والعشاء جمعا، لكن الأحاديث الصحيحة الأخرى تفندها، وإنما ثابت أن العصر صُليّت متأخرة قليلا. (نور القرآن)

على أية حال، من الواضح أن الصلوات كلها في ذلك اليوم لم تُجمع، بل أُديت صلاة العصر في وقت ضيق. كان الوقت ضيقا، وكان النبي ﷺ متأسفا على عدم أداء الصلاة بالطريقة الصحيحة وبسهولة. وقد ورد أيضا في تفاصيل غزوة الأحزاب أن غزوة الخندق كانت محطمة لأعصاب المسلمين. وبالإضافة إلى الخوف من الحرب، كان الجوع وشدة الطقس في ذروتها. كان المسلمون مضطرين للجوع إلى عدة وجبات. خلال هذه الفترة، جاءت نصره الله بحيث وجدت فرقة مسلحة من المسلمين، كانت ذاهبة لدفن أحد أقاربها عشرين جملاً محملة بالمعونة من بني قريظة إلى قريش مكة. كانت هذه المعونة الغذائية مرسلة بتوصية وجهد خاص من حبي بن أخطب. بعد مناوشة صغيرة، استولت فرقة المسلمين على جميع هذه الجمال وقدموها لرسول الله ﷺ. فأكل أهل الخندق منها، وذبحوا بعض الجمال، وبقي بعضها وأخذها المسلمون إلى المدينة في نهاية الحرب.

عندما وصل هذا الخبر إلى قائد قريش أبي سفيان، قال، كم كان حبي مشؤوماً. الآن عندما نعود لن يكون لدينا حتى حيوان لنحمل أمتعتنا. كان هذا مشروعاً في حالة الحرب نظراً لمحاصرهم المسلمين. أي إن استيلاءهم على مؤنهم كان مشروعاً تماماً.

لقد ورد ذكر دعاء النبي ﷺ أيضا على الأحزاب، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ أتى مسجد الأحزاب يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء بين الصلاتين الظهر والعصر، فوضع رداءه، وقام فرفع يديه يدعو عليهم. قال جابر: فعرفنا البشر في وجهه.

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب. زاد أبو نعيم: انتظر حتى زالت الشمس ثم قام في الناس فقال: يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإن لقيتم العدو فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. ثم قال: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم."

وقد ورد في رواية دعاء آخر كما يلي: إِنِّي أَنشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنَّ تَشَأْ لَا تُعْبَدُ.

عن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله هل من شيء نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر، (أي قد تدهور الوضع كثيرا) قال: نعم، قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا. جاء بعض المسلمين قلقين إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله، الأوضاع خطيرة للغاية. لا يبدو أن هناك أملا ظاهريا في نجات المدينة. ادعُ الله تعالى بشكل خاص الآن وعلمنا دعاءً نقرؤه حتى يتزل فضل الله علينا. فقال: لا تقلقوا وادعوا الله تعالى أن يستر ضعفكم ويقوي قلوبكم ويزيل خوفكم. ثم دعا ﷺ: اللَّهُمَّ مَنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمِهِمْ وَزَلِّزْلِهِمْ. ودعا ﷺ أيضا: يا صريخَ المكروبين، يا مجيبَ المضطرين، اكشف همي وغمي وكربي، فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي.

لقد ورد في التاريخ أن الحرب كانت قد بلغت ذروتها، وكانت قريش مكة وحلفاؤها من القبائل قد ضاقوا ذرعا بالحصار الطويل وكانوا في عجلة من أمرهم لتوجيه ضربة حاسمة والقضاء على المسلمين في أسرع وقت ممكن لأن المسلمين، من وجهة نظر عسكرية، كانوا محاصرين من كل الجهات، وكان حلفاؤهم مثل بنو قريظة موجودين داخل المدينة، وكانت كل هذه العوامل كافية لرفع آمال الكفار ومعنوياتهم. الآن كانوا يريدون أن يشنوا هجوماً موحداً معاً ويدمروا المدينة.

بينما كان قادة الكفار يخططون لهذه الاستراتيجية، ماذا كانت الخطة الإلهية مقابل خطتهم؟ كانت خطة الله مختلفة تماما وتقول: انتظروا وانظروا ماذا أفعل بكم، أي لا تقوم لخطة الناس أمام خطة إلهية قائمة. فبحسب خطة إلهية بدأت نصره الله تعالى الغيبية. في تفاصيل هذا، كتب حضرة مرزا بشير أحمد في "سيرة خاتم النبيين": وصل إلى المدينة شخص يدعى نعيم بن مسعود الذي كان ينتمي إلى قبيلة أشجع من قبائل غطفان الذين كانوا يحاربون ضد المسلمين. كان هذا الشخص قد أسلم في قلبه، لكن الكفار لم يكونوا على علم بإسلامه بعد، فاتخذ بدكاء شديد، مستفيداً من هذا الوضع، تديراً أدى إلى إحداث انقسام بين الكفار.

فأولاً، ذهب نعيم بن مسعود إلى قبيلة بني قريظة لأنه كانت له علاقات قديمة معهم، فالتقى بزعمائهم وقال لهم: أرى أنكم لم تحسنوا صنعاً بنقض عهدكم مع محمد ﷺ والانضمام إلى قريش وغطفان. إن قريشا وغطفان ضيوف هنا في المدينة لبضعة أيام فقط، أما أنتم فستبقون هنا على أي حال، لأن هذا وطنكم، وستعيشون مع المسلمين هنا. وتذكروا أن قريش وغيرهم لن يهتموا بكم عند مغادرتهم، وسيتركونكم تحت رحمة المسلمين. لذا، على الأقل قولوا لقريش وغطفان أن يسلموكم بعض رجالهم كرهائن حتى تطمئنوا أنهم لن يخونوكم. اقتنع زعماء بني قريظة بكلام نعيم ووافقوا على طلب الرهائن من قريش لكيلا يواجهوا أي مشكلة في المستقبل.

بعد ذلك، ذهب نعيم بن مسعود إلى زعماء قريش وقال لهم: إن بني قريظة خائفون من أن يواجهوا مشكلة بعد رحيلكم، لذلك هم مترددون في هذا التحالف وينوون طلب بعض الرهائن منكم كضمان. لكن لا تعطوهم أي رهائن أبداً، فقد يخونونكم ويسلمون رهائكم للمسلمين، وما إلى ذلك.

ثم ذهب إلى قبيلته غطفان وتحدث معهم بمثل هذا الحديث. وحدث صدفةً أن قريش وغطفان اقترحا شن هجوم موحد آخر على المسلمين، وأن يتم هذا الهجوم في وقت واحد من جميع جوانب المدينة حتى لا يتمكن المسلمون من مواجهته بسبب قلة عددهم، فينكسر خط دفاعهم في مكان ما وبذلك يفتح الطريق للمهاجمين. وفقاً لهذه الخطة، أرسلوا إلى بني قريظة قائلين: إن الحصار قد طال والناس يضيقون ذرعاً. لذلك اقترحنا أن تجتمع كل القبائل لشن هجوم موحد على المسلمين غداً، فاستعدوا أنتم أيضاً لشن هذا الهجوم غداً.

أجاب بنو قريظة، الذين كان نعيم بن مسعود قد تحدث معهم مسبقاً، قائلين: غداً هو يوم السبت لدينا، لذلك نحن معذورون، وعلى أي حال، لن نتمكن من المشاركة في هذا الهجوم حتى تسلمونا بعض رجالكم كضمان على أنكم لن تغدروا بنا لاحقاً. عندما وصل رد بني قريظة إلى قريش وغطفان، اندهشوا وقالوا: حقاً صدق نعيم في قوله إن بني قريظة مصممون على خيانتنا. من ناحية أخرى، عندما وصل رد قريش وغطفان إلى بني قريظة بأنهم لن يعطوا رهائن وأن على بني قريظة أن يأتوا بدون شروط إذا أرادوا المساعدة، قال بنو قريظة: حقاً لقد أعطانا نعيم نصيحة صائبة بأن نية قريش وغطفان ليست طيبة.

وهكذا، بفضل حسن تدبير نعيم، نشأ الانقسام والخلاف في معسكر الكفار. وأصبح الفريقان يشكون في نيات بعضهم البعض.

هذه هي الخطة التي اتبعها نعيم، لكن براعة نعيم تكمن في أنه حتى في أداء مهمة حساسة كهذه، لم ينطق قدر المستطاع بكلمة يمكن وصفها بالكذب الصريح. أما اتخاذ تدبير على طريقة الحيل اللطيفة أو القيام بمناورة تحمي الإنسان من شر العدو، فهذا ليس أمراً يوجب الاعتراض، بل هو جزء مفيد للغاية من فن الحرب يمكن الاستفادة منه كثيراً في إفشال العدو الظالم وإحباطه ومنع سلسلة القتل والدمار غير المبررة.

وقد ذكرها المصلح الموعود ﷺ كما يلي:

وبعد بضعة أيام، قرر اليهود والأحزاب القيام بهجوم متزامن ومفاجئ على المسلمين. ولكن ظهر نصر الله وتأييده للمسلمين بطريق عجيب وتفصيله كما يلي:

كان شخص يدعى نعيم من قبيلة غطفان أسلم في قلبه، وكان قد جاء مع جيش الكفار، وكان يتحين الفرص لكي يعين المسلمين. لم يكن يستطيع عمل الكثير بمفرده، ولكنه لما رأى اليهود قد انضموا إلى

الكفار ليناصروهم، وبدا أنه لم يبق الآن طريق للحفاظ على المسلمين، تأثر نعيم من هذه الحالة فعقد العزم على أن يفعل ما في وسعه للقضاء على هذه الفتنة. فلما تقرر أن يقوم اليهود والأحزاب بهجوم مترامن على المسلمين ذهب نعيم إلى بني قريظة وتحدث مع زعماءهم، وسألهم عما هم صانعون إذا ذهبت جيوش العرب، وماذا يتوقعون أن يصنع بهم المسلمون؟ لأن لكم عهداً مع المسلمين، فتخيّلوا العقوبة التي ستلقونها نتيجة نقض عهدكم مع المسلمين.

لقد وجلت قلوبهم فسألوه عما يجب عليهم فعله. فقال لهم نعيم: إذا طلب منكم العرب الهجوم الجماعي فقولوا لهم: أرسلوا لنا سبعين رهينا ليحرسوا حصوننا ونهاجم المسلمين من الخلف. وبعد هذا الحديث مع اليهود، ذهب نعيم إلى قادة جيش المشركين وقال لهم: إن اليهود من مواطني المدينة وسيبقون فيها، ولكن ماذا ستصنعون إذا غدر بكم اليهود وطلبوا منكم رهائن، ليقدموهم للمسلمين استرضاء لهم وطلباً للعفو عن جريمتهم؟ لذا يجب أن تختبروا إخلاص اليهود. فاطلبوا منهم المشاركة في هجوم عام شامل على الفور الآن. تأثر قادة المشركين بهذه النصيحة وعملوا بها، فأرسلوا رسالة إلى اليهود يطلبون منهم الهجوم الفوري على المسلمين من الخلف، لكي يتمكن جيش الأحزاب من الهجوم من المقدمة. فقال بنو قريظة: غدا يوم السبت، ونحن لا نهاجم يوم السبت، لذا لن نشارك في هذا القتال في هذا اليوم. وثانياً: نحن سكان المدينة وأتيتهم من الخارج، إذا انسحبتم من المعركة وانصرفتم فما هو مصيرنا مع المسلمين؟ فلن نشارك في القتال إلا إذا قدمتم لنا سبعين من رجالكم كرهائن. فلما كان الشك قد نشأ في قلوب الكفار سلفاً لذا رفضوا الاستجابة لهذا الطلب، وقالوا إذا كنتم مخلصين في تحالفكم معنا فلا معنى لمثل هذا الطلب، مما أدى إلى نشوء الشبهات في قلوب اليهود من ناحية وفي قلوب الكفار من ناحية أخرى، والقاعدة أن نشوء الشبهات في القلوب يقضي على روح الشجاعة.

ثم إن قدر الله ﷻ ظهر في إحدى الليالي في صورة ريح عاصف، لم يقاومها الأحزاب أو شتى قبائل المشركين المهاجمين فلم يجدوا بدا من الهروب، وقد كتب ابن إسحاق في تفصيل ذلك أن الله في ليلة شديدة البرد بعث عاصفة قوية قلبت قدور الكفار وبعثت أوانيهم.

وكتب البلاذري: ثم إن الله تعالى نصر المسلمين عليهم بالريح، وكانت ريحا صفراء فمألت عيونهم، فداخلهم الفشل والوهن وانهمز المشركون، وانصرفوا إلى معسكرهم، ودامت عليهم الريح، وغشيتهم الملائكة تطمس أبصارهم، فانصرفوا.

لقد قال سيدنا مرزا بشير أحمد ﷺ في تفصيل ذلك: كان من المحتمل أن تذهب مساعي نعيم بن مسعود السلمية هدرا، وتنشأ في الكفار روح الوحدة والثبات من جديد بعد عثار مؤقت، لكن الله ﷻ قدر أن تجري بعد هذه الأحداث في إحدى الليالي عاصفة شديدة أحدثت فوضى كبيرة خطيرة في معسكر الكفار الواسع في ميدان مكشوف، فانترعت الخيم وتمزقت الأستار وطار، وانقلبت القدور

ووقعت في المواعد، وملاً مطر الرمال والحصى آذان الناس وعيونهم وأنوفهم. وفوق ذلك كله حدثت كارثة، هي أن نيران القوم كانت تُشعل ليلاً بكل التزام بحسب العادة العربية قديماً فانطفأت وتطايرت كالهشيم، وكان عندهم اعتقاد راسخ أن هذه النيران يجب أن لا تنطفىء. لقد هزت هذه المشاهد قلوب الكفار المتشككة سلفاً- وكانت تنزل جراً الحصار الطويل الأليم وظهور تجربة مريرة لعدم الثقة فيما بينهم- هزاً لم يتركهم يتداركون أنفسهم، وانقشع عن آفاق المدينة غبار الكفار قبل الصبح. فحين اشتدت الرياح نادى أبو سفيان سادة قريش حوله وقال لهم إن مشاكلنا تزداد كثيراً، ولا يصح المكوث هنا أطول، ومن المفضل أن نعود. أما أنا فراحل لا محالة، ثم أمر رجاله بالعودة،

ثم ركب بعيده، لكن اضطرابه أنساه فتح قدميه من المربط، وبعد ركوبه حين لم يتحرك البعير تذكر أنه لم يفتح قدميه بعد. وكان عكرمة بن أبي جهل واقفاً عنده حينذاك، فقال له بشيء من المرارة: يا أبا سفيان أنت أمير العسكر، وأنت تهرب عنه، دون أن تعبأ بالآخرين! فخجل أبو سفيان ونزل من البعير وقال له، إذن لا أذهب الآن، إلا أن عليكم أن تتجهزوا سريعاً لتصرفوا من هنا بأسرع ما يمكن. فانصرف الناس إلى الاستعداد بسرعة، وبعد قليل ركب أبو سفيان بعيده وانصرف عائداً. وإلى ذلك الوقت لم يكن بنو غطفان وغيرها من القبائل على علم بهروب قريش، وحين بدأ معسكر قريش يخلو سريعاً علم بذلك الآخرون أيضاً، فأعلنوا هم أيضاً الانصراف قلقين، ودخل بنو قريظة أيضاً حصونهم، ورافقهم زعيم بني النضير حبي بن أخطب أيضاً، وبذلك خلا الميدان كله قبل انبلاج الفجر، وإثر تغير مفاجئ محير للعقول صار المسلمون المهددون فاتحين. فكان قبل ذلك هناك خطرٌ أن يستولي عليهم الكفار والآن أصبحوا منتصرين.

لقد كتب سيدنا المصلح الموعود ﷺ أيضاً تفصيلاً ذلك قائلاً:

حين ذهب جيش الكفار إلى خيامهم للراحة حاملين في قلوبهم الشكوك والشبهات، فتح الله سيلاً آخر للنصر السماوي، إذ هبت ليلاً عاصفة شديدة حطمت أستار الخيم، وقلبت القدور من المواعد، وانطفأت نيران بعض القبائل، وكانت في المشركين العرب عادة أن يُبقوا نيرانهم مشتعلة ليلاً، وكانوا يتفاءلون بها، والقبيلة التي كانت نيرانها تنطفىء تظن أن اليوم التالي نحس عليها، ومن ثم كانت تفكك خيامها وتتخلف عن ميدان المعركة، فالقبائل التي انطفأت نيرانهم في تلك الليلة هم حملوا خيامهم بحسب هذه العادة وانطلقت من هناك، لكي تنتظر يوماً في الخلف ثم تلتحق بالجيش. لكن لما كانت الشكوك تساور قادة الجيش بسبب نزاعات اليوم، فالقبائل التي تخلفت ظنت قبائلها المجاورة أن اليهود ربما تحالفت مع المسلمين فهاجموا ولذلك فإن القبائل المجاورة بدأت تهرب، فبدأوا هم أيضاً يفككون خيامهم ويهربون من المعركة. كان أبو سفيان مستلقياً في خيمته بهدوء، وحين تناهى إليه

هذا الخبر ركب بسرعة واضطراب وبدأ بعيره المربوط يركض برجله. فنبهه أصحابه إلى حماقته وقالوا إن الجمل مربوط، فحل عقال البعير، ثم لاذ بالفرار مع أصحابه من أرض المعركة.

وبينما لقي الكفار هذا المصير أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان لاستطلاع خبر المشركين، وقد وردت تفاصيل ذلك في كتاب "سيرة خاتم النبيين" كآلآتي: في تلك الليلة بينما كان الكفار يفرون من ساحة القتال من تلقاء أنفسهم نادى النبي ﷺ من حوله من الصحابة: "ألا رجل يذهب الآن ويأتي بخبر الجيش". يقول الصحابة قد أخذ منا البرد القارس والخوف والإرهاق والجوع مأخذاً لم نقو على نطق بنت شفة ردا على نداء النبي ﷺ، أو على الحراك من مكاننا، حتى نادى النبي ﷺ حذيفة بن اليمان باسمه، فهب ووقف أمام النبي ﷺ وهو يرتجف من البرد. فمسح النبي ﷺ رأسه بيده بمنتهى المحبة ودعا له بالخير وقال له: "لا تحف ولا تحزن، فلن يصيبك أي أذى بإذن الله. واذهب إلى معسكر الكفار في الخفاء، وانظر ما فعل القوم من دون أن تتعرض لأحد أو تدع أحداً يعرفك. قال حذيفة: "لما سرتُ شعرت وكأنما ليس بي أثر للبرد. كنت من قبل أرتجف من شدة القر، أما الآن فلم أشعر بالبرد قط، كأنما أمشي في حمام، وقد زال عني الخوف تماما. وكانت ليلة حالكة الظلام، فأتيت القوم ودخلت معسكرهم سرا بلا خوف. فرأيت أبا سفيان واقفاً يصطلي بالنار. فلم ألبث أن وضعت سهماً في كبد القوس وكدت أن أرميه، ولكنني تذكرت ما قال لي رسول الله ﷺ، فامتنعت عن إطلاق السهم. وكنت قريباً من أبي سفيان بحيث لو رميته لما نجا مني. وكان أبو سفيان يأمر أصحابه بالعودة. ثم ركب بعيره أمامي، ونسي من شدة الذعر أن يفك عقال البعير. ثم عدت أدراجي.

ويتابع حذيفة ويقول: لما عدت إلى معسكرنا وجدت رسول الله ﷺ يصلي؛ فانتظرت حتى أنهى صلاته، فأخبرته بخبر القوم. فحمد الله وشكره وقال: لم يحدث هذا بجهدنا وقوتنا وإنما حصل بفضل الله تعالى الذي هزم الأحزاب وحده. وبعدها شاع خبر فرار الكفار في معسكر المسلمين فوراً.

لقد تحدث حضرة المصلح الموعود أيضاً عن هذه الواقعة فكتب ما يلي: في الثلث الأخير من الليل صار الميدان الذي عسكر فيه حوالي ٢٥ ألف من جنود الكفار خالياً كالقفر. وفي تلك الساعة تماماً أوحى الله لرسوله ﷺ وأخبره وقال: قد جعلنا عدوك يفر. كان الله تعالى قد أخبره بفرارهم ولذلك قال الرسول ﷺ لصحابته من ذا الذي يأتي بخبر القوم. وأراد النبي ﷺ أن يبعث أحداً لاستطلاع الخبر فنادى من حوله من صحابته. وكانت الأيام أيام قر وصر، ولم يكن لديهم ملابس كافية لمقاومة البرد الشديد الذي كاد أن يجمد ألسنتهم، حتى ما قدروا على الكلام أيضاً من شدة البرد. يقول بعض الصحابة كنا سمعنا صوت رسول الله ﷺ ينادينا، وأردنا أن نجيبه، ولكننا لم نقدر على النطق من شدة البرد. كان حذيفة هو الوحيد الذي أجاب وقال لبيك يا رسول الله. (الملاحظ هنا أن حضرة المصلح الموعود يذكر هنا أن حذيفة ﷺ بنفسه لبي نداء الرسول ﷺ وجاءه، وليس أن رسول الله ﷺ نادى حذيفة باسمه،

فقال له رسول الله ﷺ إنما أريد شخصا غيرك. فنادى رسول الله ﷺ ثانية، ولكن بسبب شدة البرد لم يجبه أحد منهم هذه المرة أيضا، حتى الذين كانوا مستيقظين أيضا. فقال حذيفة مرة أخرى لبيك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: لقد أخبرني الله تعالى وقال "لقد جعلنا عدوك يفر"، فاذهب وانظر ما فعل القوم. فذهب حذيفة قريبا من الخندق، فوجد الساحة قد خلت من جنود العدو كلية. فعاد إلى الرسول ﷺ وقرأ الشهادة تصديقا لرسالة النبي ﷺ، وأخبره أن العدو قد انسحب وفر من الساحة.

سوف أتناول باقي التفاصيل فيما بعد إن شاء الله.

إن أوضاع العالم - كما تعلمون- تزداد سوءا يوما بعد يوم وتتوجه نحو الدمار. إن أميركا وغيرها من القوى الكبرى لا تريد أن تعمل بالعدل. والحرب تتوسع باستمرار. أدعو الله تعالى أن ينجي الأحمديين وغيرهم من الأبرياء من ويلات الحرب وآثارها السيئة المروعة. ولكن هذا يفرض علينا أن نزداد تعلقا بالله تعالى، ونركز على الأدعية تركيزا كبيرا. يجب على كل أحمدي أن يهتم بهذا الأمر. إن أوضاع الأحمديين في باكستان تزداد سوءا على سوء باستمرار، فادعوا لهم أيضا. وادعوا لتحسن أوضاع الأحمديين في بنجلاديش أيضا، فإنهم عرضة لأنواع الشدائد. رحم الله الجميع وشملهم بفضله.

\*\*\*\*\*